الأستاذ بيرم كمال

مقياس المجتمع وفعالياته

السنة الأولى ماستر حديث

المحاضرة 3

فئة الأتراك والكراغلة

رغم ان فئة الاتراك هي الفئة المسيطرة على دواليب السلطة ورغم قلتها فقد شكلت الفئة الاولى في الهرم الاجتماعي- وبخلاف الوضع في العهد الاستعماري فلم يكن هناك مشروع مجتمع تركي بالجزائر بقدر ما وجدت فئة عسكرية ابتعدت كليا عن الحياة الاجتماعية التي تؤدي الى روابط المصاهرة والمجاورة او التأثيرالاجتماعي على بقية الفئات. واستمر الوجود التركي بعيدا ومنعزلا عن الحياة الاجتماعية خاصة في الارياف الجزائرية ،كما لم يحدث الوجود التركي اختراقا للموروث القبلي او الاجتماعي للساكنة الجزائرية. لا انها ا كانت قوية وذات نفوذ واسع في البلاد.

يصنف **الأتراك إلى صنفين:** الجنود العثمانيين من الأناضول كانوا يأتون للجهاد في سبيل الله والدفاع عن أرض الإسلام والمسلمين، وأما "العلوج" فكانوا يعتنقون الدين الإسلامي عن قناعة وكانوا يحاربون أبناء جلدهم كمسلمين ضد كفار وأعداء الله وليس لاعتبارات أخرى، ثم إن التقسيم القومي لم يكن أصلا موجودا في العالم، فكان هناك إما مسلم أو كافر وعند الأوربيين كان هناك إما مسيحي أو كافر أيضا.

أما خارج مدينة الجزائر فتتوزع العناصر التركية على الحاميات التي بلغ عددها 15 حامية، موزعة على 71 سفرة منها 10 سفرات بوهران و5 سفرات في كل مدينة من المدن التالي: قسنطينة وعنابة، وتبسة، وبسكرة، وبجاية، وتلسمان، مسيلة، ومعسكر، ومستغانموتميز الأتراك عن غيرهم من السكان باتباع تقاليد تركية والافتخار بأعمالهم العسكرية والاعتزاز بلغتهم الأصلية والعزوف عن خدمة الأرض.

وقد تمتع الأتراك بامتيازات كبيرة، وكانت لهم الأولوية في كل شيء وقد استطاع العديد منهم تجميع ثروات طائلة، وفي مدينة الجزائر كانت جل الأراضي في سهل متيجة الخصب ملكا للدايات وأصحاب المناصب العليا من الأتراك الذين قسموا السهل إلى أحواش ظلت تحمل أسماءهم حتى بداية الاحتلال الفرنسي.

وفي إقليم قسنطينة كان لكبار موظفي البايلك ملكيات واسعة معروفة باسم "أراضي العزل" وغالبا ما كان الأتراك يفضلون الإقامة في أراضيهم تلك والابتعاد عن الحياة السياسية ويؤكد شالر ذلك فيقول: حظوظ الأتراك الذين يتبعون بعيدين عن الحياة السياسية أكثر استقرارا من حظوظ أولئك الذين تدفعهم المطامح إلى كسب الثورة

والجاه، وهي مزايا تعرض صاحبها دائما للخطر[1].كما أثر الأتراك في فن العمارة وأدخلوا فيه طابعهم الخاص، وبرز ذلك بشكل واضح في المساجد والأضرحة التي قاموا ببنائها، إضافة إلى المنشآت العسكرية والبحرية، كما يعود الفضل للأتراك في المحافظة على الأوقاف وتنميتها عن طريق إنشاء مؤسسة سبل الخيرات[2].

-فئة الكراغلة:

شكلت فئة الكراغلة منذ بداية الفترة العثمانية في الجزائر مشكلة عويصة داخل هيكل النظام العثماني ،وقد انفردت بهذه المشكلة عن باقي الولايات العثمانية في شمال إفريقيا بحيث استطاعت النخب العثمانية التموضع في مجتمعات هذه الايالات كما تمكنت من عثمنة النخب المحلية على حد تعبير الباحث توليدانو[3]tolédano،و هذا ما لم يحدث في الجزائر حيث بقي النظام العثماني منغلقا على نفسه ولم يستطع حتى تقبل أبناء الأتراك ومحافظا على الميليشيا ذات الطابع التركي.

يرتبط ظهور فئة الكراغلة بالجزائر عموما بالتواجد العثماني ،إذ أن بعض الأتراك قد اختاروا التقرب من السكان المحليين فعقدوا مصاهرات مع بعض العائلات الحضرية ذات الثروة والنفوذ الديني ، فنتج عن ذلك عنصر سكاني جديد هو العنصر الكرغلي،واصل المصطلح هو الكلمة التركية "كول اوغلو" التي تعني ابن العبد والعبد هنا كان يطلق على الجندي الانكشاري بمعنى الولاء للسلطان العثماني وليس العبودية بمعناه الاجتماعي المعروف .مصطلح الكراغلة عرف بعديد التعاريف ،بحيث يذهب عديد من الكتاب والرحالة الأوربيون إلى تعريف متقارب بينهم يعد الكراغلة أنهم أبناء الأتراك من نساء عربيات، مثل الأب بيتي دو لاكروا petis de la croixولوجطي دو تاسي Laugier de tassy[4] بايصونال peyssonel[5] و بوتان Boutin.

أما الكتابات الجزائرية حول مصطلح الكراغلة فقد أدرجت عدة تعاريف وبأشكال مختلفة أحيانا، بحيث يوردها مسلم بن عبد القادر الجزائري بصيغة الجمع قرغلان ،[6]ووردت بصيغة الكوراغلي عند الشريف الزهار،[7]وذكرها حمدان خوجة في كتابه المرآة باسم الكراغلة، بحيث يقول:والأطفال الذين يولدون نتيجة الزواج بين هذين الصنفين أي العرب والأتراك يسمون كراغلة.[8]والكراغلة هم أبناء نتجوا من تزاوج الجند الانكشاري بنساء من أقاليم الدولة العثمانية ،وليس فقط من نساء جزائريات مثلما يشاع ،والنسب هنا يعود لآبائهم وليس لأمهاتهم ، ووضعهم في الحياة العامة يعود الى التنظيمات التي وقعها السلطان مراد والتي من بينها عدم قبول الأفراد إلا من خلال نظام الديوشيرمة وبقائهم عزاب ويحرم من بعض الحقوق من يتزوج

وقد تواجد الكراغلة بالجزائر في عدة مدن منها دار السلطان بمدينة الجزائر حيث قدر عددهم خلال القرن الثامن عشر ب6000 كرغلي مقابل 3000 من الأتراك،[9] وواد الزيتون بعد أحداث 1929 و 1633 وتمردهم ضد النظام المركزي حيث شكلوا قبيلة الزواتنة التي تمتعت باستقلال إداري. كما تواجدوا بوادي سيباو وشرشال والقليعة.

أما بباياليكالتيطري فقد تواجدوا بأهم مدنه ،وهي المديةالتي تواجدت بها عائلات كرغلية حملت ألقاب عديدة منها قوجة باش ،قاردنجلزغلو، قار حسين، بن غرنوط ،بن دالي ، وشلابي، وشكل الكراغلة بالمدية القسم الهام من نوبة المدينة في الجانب العسكري ، والجدير بالذكر أن التواجد التركي بالمدية فاق 250 جندي و636 كرغلي [10]، والى القرب من المدية تواجد بالبروقية عدد من العسكريين الأتراك ضمن فرقة الزبنطوط وهم من الكراغلة غير المتزوجين.أمابباياليك الشرق فقد استقر الكراغلة بقسنطينة حيث برزت عائلة باش تارزي ،وبن كوتشوك، وبن تشيكو ، وبن حسين وقدر عدد الكراغلة عشية الاحتلال بقسنطينة 5025 عائلة.هذا إلى جانب مدينة ميلة و عنابة وبجاية وكذا مدينة البليدة والمسيلة التي قارب الكراغة نصف سكانها وكان لهم حي باسم الكراغلةوتلمسان والبليدة وزمورة وغيرها.كانت سياسة الترضية التي انتهجها الداي شعبان آغا ارتقاء بعض الكراغلة إلى مناصب سامية، وقد كانت لساسة التقارب هذه أثر سيء في العلاقة بين الكراغلة والأهالي[11].ومما يلاحظ أن الكراغلة رغم تزايد قوتهم في آخر العهد العثماني لم يعرفوا كيف يقوموا بالدور المنتظر منهم والمعينين له باعتبارهم طبقة وسطى تقرب الحاكم من المحكوم، إذ اكتفوا بعد منافسة شديدة للعناصر بالحصول على ترضيات فلم يعودوا يطمحون إلى ارتقاء المناصب السياسية وتولي المهام العسكرية، وإنما أصبح اهتمامهم منصبا على تنمية ثرواتهم واستغلال أملاكهم وتنشيط تجارتهم، وبذلك فشلوا في التعبير عن طموحات الأهالي[12]، ولم يكونوا في مستوى كريول أمريكا اللاتينية الذين كانوا صلة وصل بين الهنود الحمر والإسبان، بل انتهى بهم الأمر إلى أن فقدوا تلاحمهم وخدمت همتهم وزاد التصاقهم بالأتراك وقد ذكر ما يؤكد توتر علاقة الكراغلة ببقية السكان عندما ذكر أن باي الغرب محمد بن محمد ذهب إلى تلسمان عام 1220 هـ وأخى بين العرب والكراغلان وأوصاهم على بضهم البعض وقد كانوا في ضيق الحال وعدم القوت والمال للفتن التي كانت بينهم وبين عرب البلد[13].

علاقةالكراغلة بالمجتمع الجزائري :يعتبر الكراغلة مجموعة سكانية تعمل على احتالل المرتبة الثانية بعد أبائهماألتراك في سلم الهرم اإلجتماعي فتبلورت نتيجة تزاوج بين الجند اإلنكشاري و نساء البالد، فجماعة الكراغلة لم تبقى منعزلة أو منغلقة على نفسها لو حدها بل عملت عدة روابط تجسدت على شكل عالقات أقامتها مع مختلف الفئات اإلجتماعية داخل الجزائر من اجل التعايش معها و أيضا لكي تحافظ على ديمومتها واستمرارية وجودها، و على سبيل المثال عالقتها مع أألتراك واليهود واألسرى المسيحيين و كذلك السكان المحليين بمعنى أبناء البلد أألصليين بهدف التعايش معهم بالجزائر كطبقة اجتماعية لديها كل المؤهالت التي تجعلها متميزة عن باقي الفئات اإلجتماعيةألخرى .ربطت الكراغلة في المجتمع الجزائري عدة عالقات ساهمت في تثبيت وجودهم و من بين هذه العالقات عالقتها مع السكان المحليين.

[1BK]Commentaire:

علاقة الكراغلة بالسكان :

تعدت العلاقة السياسية للأتراك او الانكشارية مع الأهالي الى المصاهرة التي أعطت بعدا اجتماعيا إضافيا متن الرابطة الدموية بينالكراغلة والأهالي وجعلهم اقرب الى الأهالي من الاتراك القابضين على السلطة ،ورغم التفاوت

الهرمي للفئات الاجتماعية بالجزائر الا ان الكراغلة لم يشكلوا خطرا على الأهالي او تثار ضدهم ثورات كما حدث للأتراك في عدة مناسبات ومرد ذلك الى افتقادهم السلطة من جهة وابتعادهم في كثير من الأحيان عن دار السلطان بالنظر الى انتشارهم في مدن داخلية كقسنطينة تلمسان المسيلة زمورة وغيرهم.

ومن جهة أخرى لم يكن الكراغلة بعيدين عن الأهالي رغم تأصلهم بالبلد الأصلي نتيجة لسياسة الترضية و التسامحالتي انتهجتها الدولة معهم، وذلك للحد من الثورات و المحافظة على الهدوء .أصبح الجزائري العادي ينظر إلىالكرغلي نظرة لا تختلف عن نظرته للسادة الأتراكلحاكمين التي يحملها الأهالي اتجاه هذه الجماعة المتعاملة مع االتراك .تتجسد علاقة الكراغلةبالأهالي بحكم قرابتهم من الأهالي و ارتباطهم بالبالد مع أنهم كانوا قادرين على تكوين حلف وطني يهدد امتياز ات الطائفة التركية، قد برهنت الأحداث على نجاح هذا التحالف الوطني عندما استعانوا بالكراغلة و فرق الزواوة عام 1817م لقمع (ثورة الإنكشارية و هذا ما أدى لتحسين العالقة بين الكراغلة و السكان المحليين من خلال عديد المصاهرات،فنجد مثال الحاج احمدباي الكرغلي الذي كان مرتبط بإقليم قسنطينة بالمصاهرة فقد كان أبوه تركي و أمه جزائرية و قد كان أخواله من عائلة ابن قانة التي كانت لها مكانة و سلطة على عرب الصحراء نواحي بسكرة، و قد تصاهر الحاج احمد مع عدد من الأسر والقبائل العربية بالمنطقة و ذلك للحصول على تأييدهم.فنجد أن الكراغلة تحالفوا مع السكان ضد الأتراك و ذلك في 1596م مع سكان الجزائر على عهد خضر باشا 1596-1595م ضد أبائهم و تحالفوا مع سكان منطقة القبائل بعد ثورة 1633م، وحاول السكان مساندة الكراغلة و قاموا بمحاصرة القوة العسكرية التركية وكان ذلك عام 1639 م و كانوا يريدون العفو عن الكراغلة)وتظهر العالقة بين الكراغلة و السكان المحليين في عام 1623م عندما تنكر القولوغليون في زي الفالحين و أخفوا السالح تحت مالبسهم و دخلوا المدينة في شكل جماعات صغيرة، ثم توزعوا و قاموا بمهاجمة الإنكشارية و استولوا على بعض المخافر، كان الكراغلة يعتقدون أن الأهالي سيساعدونهم لكن حدث عكس ذلك فقد قام الانكشاريين بالهجوم و أغلقوا أبواب المدينة متجهين للقسم العلوي للمدينة و في هذه الأثناء اشتعل البارود الموجود بالمخازنما أدى لتفجير القلعة الداخلية وخرب 500 منزل و قتل 600 شخص.

علاقةالكراغلةبالأتراك :كانت وضعية الكراغلةالاجتماعية متميزة نظرا إلى انتسابهم إلى العنصر التركي المسيطر على البالد، مما سمح لهم بتقلد وظائف مرموقة في الجيش و الإدارة، و في القرن 16.عمل الكراغلة على قدم المساواة و عناصر أخرى مشكلة الأوجاق و أبيح لهم شغل جميع المناصب بما فيها منصب الوالي و كان أول ظهور لهذه الجماعة كفئة مستقلة في 1596م عندما ثارت بعض أحياء المدينة على الإنكشارية، واتخذت الكراغلةخلال هذه الأحداث موقفا ضد الأتراك بدأ الصراع بين الأتراك و الكراغلة بلغ قمته 1629م عندما كشفت مؤامرة وضعها الكراغلة من أجل الاستيلاء على السلطة فقرر الديوان نفي عدد كبير منهم إلى بجاية ثم إلى تونس و قام بمصادرة أمالكهم .تتمثل عالقة الكراغلةبالأتراكبالاشتراكية في الأصل، غير أنهم أبعدوا عن المهام لكبرى خوفا من

سيطرتهم على شؤون البالد .حصل الأتراك على امتيازات ساعدتهم في الحصول على مناصب عالية في الدولة أتاحت لهم فر ص المصاهرة والزواج في البلد، و المعتقد أن عدد الكرغليين المنحدرون من أصل تركي بلغ نحو 20 ألف مع تمتع الكراغلة بنفس حقوق الجزائريون فيما يتعلق بالمناصب في الدولة و مع إمكانية ترقيهم في البحرية و الوصول إلى منصب القائد و الباي، ال تربطهم أية عالقة بالأتراك رفضهم الأتراك رفضا قاطعا و اعتبروهم من السكان(الجزائريين) ما يؤدي إلى تحسين العالقة بين الفئتين هو أن الكراغلة يلعبون دور الوساطة بين الحكام الأتراك و السكان المحليين، فرغم أن العالقة غير مستقرة بين الأتراك و الكراغلةإلا أننا نجد في بعض الحالات تشكيل عالقة طيبة بين أفراد الجماعتين إذ نجد بعض الكراغلة ربطتهم عالقة مصاهرة مع بعض الأتراك، و على سبيل المثال قام حمدان بن عثمان خوجة (بتزويج ابنته إلى احد الأتراك .يعتبر تهميش سكان الجزائر من آية مشاركة فعلية سواء في الدفاع أو المحافظة على الأمن الداخلي و اعتماد العنصر التركي العثماني وحده في الخدمة العسكرية، ساعد في الحفاظ، على الطابع العثماني للدولة الجزائرية فمن هؤلاء المجندين كان يتم اختيار الحكام باختلاف الرتب و الألقاب و منهم يتم اختيار الموظفين والوزراء، و من مظاهر سيطرة الانكشارية على الحياة السياسية بالجزائر خلال الفترة العثمانية أنها تحكمت في تعيين و عزل (الباشوات .فعمل الكراغلة على الاستيلاء على مدينة الجزائر فدخلوها واقتحموا حصن القصبة و اعتمدوا في ذلك على دعم السكان، لكن هؤلاء لم يساعدهم ثم فجر الكراغلة مخزن البارود إلا أن هذه المحاولة فشلت، غير أن التحالف القبائلي الكرغلي استمر من خلالالأعمال الحربية ضد الأتراك لنهاية عقد الثلاثينات، ففي 1639م تضمن نص معاهدة عقدها الديوان مع القبائل بندا خاصا منح الكراغلة عفوا عاما لكن الصراع التي كانت مدته أزيد من 10 سنين عمل على تحطيم الكراغلة إذ حضر عليهم الديوان الانضمام إلى صفوف الإنكشارية و تولي المناصب السامية في الإدارة و لم يفتح لهم المجال إلا في الغزو البحري، تحسن وضع الكراغلة عقب انقلاباألاغوات فسمح لهم من جديد الانخراط في الإنكشارية، ..تميزت علاقة الأتراكبالكراغلة بعلاقة الشقاق الذي وقع بعد حادثة عام 1630م للاستيلاء على الحكم حيث وضع أفراد طبقة الكراغلة مشروعا يهدف لطرد الأتراك الذين كانوا يحكمون البلاد، فاجتمعوا في حصن الإمبراطور، و عندما علم الأتراكأرادوا إفشال المشروع من خلال وضع خطة بأن يلبس عددا من العمال الذين يدعون بني ميزاب ملابس نسائية، ثم اخذ هؤلاء أسلحتهم و الذخيرة في شكل متاع مستورد ثم تقدموا إلى مدخل الحصن و كأنهم نساء هربن من جور الأتراك و بمجرد أن دخل أولئك الرجال ذالك الحصن و هم تحت ذلك (القناع هاجموا المتمردين بمساعدة فوج كان يتبعهم فأخضعوهم و أفشلوا مشاريعهم .على إثر هذا الحادث قرر الأتراك بعدم السماح للكراغلة باشتغال مناصب سامية و قد عزل كل من كان يشتغل منهم وظيفة في ذلك الوقت، و من هنا فإن كل كرغلي يصل إلى (المرتبة السابقة كان يعزل و من هنا لم يكن أي احد منهم يصل البالبلاط..

[1]- شالر: المصدر السابق، ص 57.

[2]- سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص 143.

[3]Toledano,euud: the emergence of ottomans élites in the middle east and north Africa 1700-1900,cite par talshuval: la Ville d'algervers la fin du xvIIIe siècle: population et cadre urbain,paris,c n r s ,1998,p 57.

[4] Laugier de tassy :histoire du royaumed'alger,paris,éd loynel1999,p57

[5]Peyssonel,j a : voyage dans la régence de Tunis et d'alger,paris,sindbad 1983p71.

مسلم بن عبد القادرالجزائري:خاتمة دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تقديم وتعليق المهدي البوعبدلي،الجزائر ،ش و ن ت 1978ص 192.[6]

الزهار:مذكرات نقيب أشرافالجزائر ،تحقيق احمد توفيق المدني ،الجزائر،ش و ن ت 1974،ص 160.[7]

حمدان خوجة:المرأة،تعريبتحقيق محمد العربي الزبيري،ش و ن ت 1982،ص 101.[8]

[9]Boyer,p :le problèmes kouloughli,dans la régence d'alger,in R.OM M nspecial1970p79.

[10] Ministère de la guerre :t.s.e.f 1838p190.

[11]- سعيدوني: النظام المالي في الفترة العثمانية، المرجع السابق، ص 44.

[12]- سعيدوني: الجزائر في تاريخ العهد العثماني، المرجع السابق، ص 97.

[13]- المرجع نفسه، نفس الصفحة

[14]